مجلة آفاق سينمائية | المجلد 07 والعدد 02 | السنة: 2020 | ص – ص : 56–73

الأفلام الثورية الجزائرية وتجليات الهوية الوطنية. قراءة في فيلمي خارج عن القانون، ومعركة الجزائر

Algerian revolutionary films and manifestations of national identity. Reading in my film Out of Law, and the Battle of Algeria

قندز فؤاد[1]*، إشراف أ. د صياد سيد احمد[2]

[1] جامعة وهران 1، الجزائر، mamerfouad02@gmail.com

[2] جامعة وهران 1، الجزائر، sayadscene999@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/06 تاريخ القبول: 2020/06/28 تاريخ النشر: 2020/12/15

ملخص:

يجتهد المخرجين السينمائيين كثيرا في تقديم عمل سينمائي يرضي المشاهد ويؤثر فيه، لعدة أسباب منها المادي والمعنوي، فالأول كسب عدد أكبر من الإرادات لأنها صناعة بالدرجة الأولى؛ هدفها تحقيق الربح للإستمرارية. والثاني ترويج للأفكار والمبادئ والقيم التي يحملها الفيلم. ويقاس مدى نجاح الفيلم أو فشله بمدى نسبة المشاهدة، وانجر عن ذلك ظهور مؤسسات للإنتاج والتوزيع السينمائي تشرف على تسويق الفيلم. هذا الأخير الذي يعتبر من بين الوسائل الإعلامية الأقوى على التأثير لما يتمتع به من قوة التقنية والصورة التي تتغلغل إلى أعماق المشاهد وتؤثر فيه، فتزرع فيه الأفكار الوطنية، ولعل الأفلام الثورية الجزائرية خير مثال على ذلك، حيث جسدت الكثير منها مشاهد حب الوطن، وزرعت مفاهيم الهوية والقومية ونبذ الإستعمار بكل أشكاله؛ فتابع المشاهد الكثير منها منذ الإستقلال وما يزال يتابع، إلا أن مفاهيم المشاهدة التي تعتمد على قاعات السينما تغيرت اليوم لعدة عوامل وأسباب. وهو أمر يثير التساؤل ومحاولة معرفة الأسباب الحقيقية لذلك، واقتراح الحلول إن أمكن.

الكلمات المفتاحية: المشاهدة–السينما–الهوية – الوطنية–الثورة

Abstract:

Film directors strive to provide cinematography that satisfies the viewer and influences him, for a number of reasons, including material and moral. The first is to gain a greater number of revenues because it is primarily a industry; its goal is to achieve profit for continuity. The second is to promote the ideas, principles, and values that the film holds. The success or failure of the movie is measured by the percentage of viewership, and the result is the emergence of cinematographic production and distribution institutions that oversee the marketing of the film. The latter, which is considered among the strongest media outlets to influence its technical power and image, which penetrates into the depths of the viewer and influences it, so national ideas are cultivated, and the Algerian revolutionary films may be a good example of this, as many of them embodied scenes of patriotism The concepts of identity, nationalism, and the rejection of colonialism were sown in all its forms. The viewer continued many of them since independence, and continues to follow, but the concepts of viewing that depend on the cinema halls have changed today for several factors and reasons. It raises questions and attempts to know the real reasons for this, and to suggest solutions if possible.

key words: Viewing - cinema - identity - patriotism - revolution

* المؤلف المرسل: قندز فؤاد، الإيميل، mamerfouad02@gmail.com.

1. مقدمة:

تعتبر السينما إحدى الوسائل الأقوى في التعبير عن الهوية الوطنية للشعوب وعاداتها وتقاليدها، واهتمامات الأفراد وأفكارهم إلى الآخرين، جماعات كانوا أم شعوب. ولطالما كانت السينما ومازالت وسيلة إتصال جماهيرية بامتياز. إستطاعت شد الفنانين والتقنيين والإعلاميين إليها منذ ظهورها على يد الإخوة لوميير سنة 1895، وتحولت الأفلام إلى مرآة عاكسة لذوات المشاهدين من منظور نظريات التقمص والتطهير، وإدراكاً للتأثير الذي تحدثه السينما على المجتمعات، تستثمر الشركات الكبرى أموالاً ضخمة لإنتاج الأفلام السينمائية، كهوليوود في أمريكا وبوليوود في الهند وغيرها، وهو ما يؤكد أهمية الدور الذي

تلعبه السينما كوسيط ثقافي بالدرجة الأولى في صناعة القيم والتعبير عن الهويات والقوميات، وتكييفها على حسب المعطيات خدمة لسياستها العامة وتوجهاتها.

لم تحيد السينما الجزائرية عن هذا المسار، حيث كانت ولازالت تلعب دوراً بارزاً في التعبير عن روح وقيم ونضال الشعب الجزائري وكفاحه المتواصل من أجل إثبات روحه وهويته، والدفاع عن حقوقه وسيادته. فبعد الاستقلال بدأت السينما الجزائرية تعطي ثمارها، فقد عرفت إنتاج العشرات من الأفلام الجادة، وبرزت عدة وجوه فنية فكانت إيذاناً بوجود سينما تشق طريقها نحو إثبات الذات، ووسيلة لخدمة الثقافة والفكر في المجتمع الجزائري المستقل. فكانت أولى الخطوات بعد الاستقلال تأميم قاعات العروض، واحتكار توزيع الإنتاج، وعرفت القاعات إقبالاً كبيراً من طرف المشاهدين للأفلام السينمائية، خاصة الثورية منها والتي تحمل طابع الوطنية في طياتها باعتبارها تتناول جلها فترة الإستعمار، وتصور ما عناه هذا الشعب الأبي المحب لوطنه. خاصة في فترة الإستقلال في الستينات والسبعينات؛ أين انتعشت السينما الجزائرية بإنتاجها الضخم للأفلام.

ونسعى من خلال هذا البحث إلى تتبع مسار السينما الجزائرية منذ فترة الإستقلال إلى غاية عصرنا هذا، ورصد أهم التحولات والتغيرات التي أثرت وتؤثر في فصول مشاهدة الأفلام السينمائية الثورية. وتتبع أهم الإنتاجات السينمائية التي بثت وأحيت الروح الوطنية في نفوس المشاهدين، من خلال الإجابة على تساؤلين رئيسيين هما:

- ما هي دوافع متابعة المشاهد الجزائري للأفلام الثورية الجزائرية؟
- كيف تعمل الأفلام الثورية الجزائرية في زرع قيم ومبادئ الهوية الوطنية في المشاهد؟

الفرضية العامة: يوجد تجسيد لقيم ومبادئ الهوية الوطنية في فيلمي خارج عن القانون ومعركة الجزائر.

- الشعور بالإنتماء والإفتخار بالوطنية.

- تمجيد البطولات التي قام بها الشباب الجزائري مضحيا بعمره في سبيل الوطن، والإقتداء به.

أهمية الدراسة: تنصب أهمية البحث في الدرجة الأولى على كونه يعد خارطة طريق بشأن مشاهدة الأفلام الثورية الجزائرية، والوقوف على أهم الجوانب المتعلقة بالكشف عن الهوية الوطنية التي تبرزها هذه الأفلام، وكيف تتناول الأفلام الثورية قضية الهوية الوطنية وتعالجها.

أهداف الدراسة: يهدف البحث الغوص في عملية مشاهدة الأفلام الثورية، من خلال الشعور بالإنتماء لهذا الوطن عن طريق الرسائل التي تحملها هاته الأفلام، ومحاولة إيجاد حلول لمختلف المشاكل والعراقيل التي تقف في وجه المشاهد الجزائري، سواء تعلق الأمر بالأفلام نفسها وما تعالجه من مواضيع وقضايا تخدم أو تضر المشاهد، أو الضغوطات الإجتماعية التي تقف عثرة في وجه المشاهد في الذهاب والإقبال على الأفلام السينمائية، وكذلك الإهتمام بالقاعات وإعادة بث الروح فيها من خلال إنتاج سينمائي جاد ومحترم.

تقتصر حدود البحث على قراءة في فيلمين ثوريين وحد قديم والأخر جديد.

يعتمد البحث المنهج التكاملي (الوصفي التحليلي والمقارن) فيتطرق إلى شرح وتوضيح أهم محطات السينما الجزائرية وما قدمته من أفلام سينمائية ثورية تابعها الجمهور؛ ومقارنة بين فيلمين ثوريين واحد قديم والآخر جديد، واستخلاص النتائج.

-مجتمع الدراسة والعينة: يتمثل مجتمع الدراسة في هذا البحث في الأفلام السينمائية الثورية، ذات الإنتاج الجزائري المحلي أو التي أنتجت بالشراكة مع جهات أجنبية، والتي تناولت مواضيع الثورة، أو سير أبطالها. أما عن العينة فقد اتيرت بطرقة قصدية، والعينة القصدية هي العينة التي يتم اختيار المفردات التي يقع عليها البحث بطريقة عمدية لاعتقاد الباحث بتوافر خصائص مجتمع البحث فيها، وقد وقع الإختيار قصديا على فيلمي معركة الجزائر للمخرج الإيطالي جيلو بونتيكورفو، وفيلم خارج عن القانون لرشيد بوشارب.

مفهوم المصطلحات:

السينما لغة: سِينما–:

1–(الثقافة والفنون) فنّ إنتاج وإخراج الأفلام التي تُعرض على الشَّاشة البيضاء أمام النَّاظرين ويطلق عليه الفنّ السَّابع:–فيلم/ تصوير سينمائيّ، – حفلة سينمائيّة–:

•حيل سينمائيَّة: وسائل بارعة في التَّصوير والإخراج، وتُسمّى كذلك خِدَع سينمائيَّة.

2–دار أو صالة لعرض الأفلام والصُّور المتحرِّكة :–المركز العربيّ للسِّينما والتِّليفزيون–:

•سينما مجهريّة: أحد مناظر لأشياء مجهريَّة[1].

•عِلْم السِّينما: (الثقافة والفنون) علم يدرس تأثير السِّينما في الحقل الاجتماعيّ أو الأخلاقيّ.

– **السينما اصطلاحا:** هي وسيلة إعلامية إتصالية تختص بصناعة الصور المتحركة المعروضة في تعاقب، أما في دور السينما أو على شاشة التلفزيون، توالت جهود العديد من الفنانين وعلى رأسهم ليوناردو دافنشي مؤسس علم البصريات على خلفها: «فمنذ ألاف السينين والقصاصون ومحركو العرائس والممثلون والمطربون، يمتعون الناس بمختلف الطرق في كل أنحاء العالم، ومع بدية القرن العشرين ظهرت طرق جديدة للتسلية بفضل المكتشفات العلمية والتقدم التكنولوجي، وخاصة في السينما»[2].

والفيلم الثوري: هو نوع من أنواع الأفلام يدور حول الحرب، وعادة حول المعارك البحرية والجوية والبرية، في بعض الأحيان تركز أفلام الحرب على الحياة العسكرية أو المدنية اليومية في زمن الحرب دون تصور المعارك. قد تكون قصصهم خيالية، أو تاريخية، أو وثائقية، أو سيرة ذاتية، أو حتى تاريخ بديل.

مفهوم الوطنية وتُعْرَفُ باسمِ الفخر القومي كذلك، هي التَعَلُّقُ العاطفي بأُمة يعترف بها الفرد وطنا له. والوطني هو من يحب بلاده، ويدعم سلطتها ويصون مصالحها. ويمكن النظر إلى هذا الإرتباط من خلال العلامات المميزة للأمة والتي قد تشمل جوانب إثنية وثقافية، سياسية

وتاريخية. تنبع المشاعر الوطنية من حِسٍّ بالإرتباط والإنتماء، والتضامن والإلتزام. وتتضمن الوطنية مجموعة مفاهيم وثيقة الصلة بالقومية، لأن واقع الحال يفيد بأن المصالح ملك للأمة، وليس للبلاد بمعناها الحرفي"[3].

المفهوم الإجرائي: ونقصد بالوطنية ذلك الإحساس العالي تجاه حب الوطن والتمسك به والدفاع عنه بالنفس والنفيس.

مفهوم الهوية: يرى محمد أمين العالم أن الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الاخلاق أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، إنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها. كما يشير صموئيل هنتكتون إلى الهوية بقوله: هي احساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك، وتميزنا عنهم، فالطفل الجديد يمتلك عناصر هوية ما عند الولادة، بعلاقة مع إسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنيته، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزء من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسها بها[4]

ويمكن القول أنها– الهوية– الرمز، أو العامل المشترك الذي يجمع عليه كل أفراد الأمة، أية أمة، من حيث الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز. وهذا الإنتساب والتعلق والولاء والإعتزاز يكسب قداسته لأنه ليس موضع شك من طرف أي فرد، خاصة ممن تتكون منهم قاعدة الهرم، وهي هوية القاسم المشترك بين الجميع، إستناداً إلى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة[5].

التعريف الإجرائي: لقد تعددت تعاريف الهوية إلا أنه يمكن القول: بأنها كلها تصب في معنى وحدة التاريخ، والعادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي والدين والمعتقد لدى أمة ما. وكيف نبرزها في الفيلم ونوصلها للمشاهد بطريقة فنية جمالية مؤثرة ومقنعة.

مفهوم الهوية الوطنية: هي الهوية الجماعية المتكونة أو الإنطباع المتولد لدى أفراد الأمة عن أنفسهم وثقافتهم التي هي طابع الأغلبية من الأفراد وتضفي الهوية الوطنية الشرعية على الوضع الإجتماعي والتألف المشترك كما أشار أنطوني سميث[6].

وإجرائياً هي مجموع الخصائص والمميزات التاريخية والسياسية والإجتماعية والثقافية التي تمثل شعب ما عن غيره، كالشعب الجزائري.

مفهوم الثورة: وعند الرجوع الى قاموس معجم المعاني في اللغة العربية نجد أنه تناول تعريف الثورة على الشكل التالي:

ثَوْرة (اسم):، ثَوْرة: مصدر ثارَ، والجمع منها : ثَوْرات و ثَوَرات.

والثَّوْرَة: تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولةٍ مَّا.

وثورة أهليّة: ثورة يقوم بها المدنيُّون،

وثورة بيضاء، ثورة سِلْميَّة : ثورة تحقِّق أغراضها بدون سلاح أو إراقة دماء.

وثورة مُسلَّحة: ثورة تعتمد السلاحَ وسيلةً للتغيير،

وثورة مُضادَّة: ثورة معاكسة لثورة أخرى[7].

والثورة اصطلاحاً: من الصعب وضع تعريف للثورة ونكتفي بالتعريف الذي يتبنّاه علم الاجتماع لاصطلاح الثورة هو أنها تغيير جذري أساسي وعميق في المجتمع وبناه الاجتماعية، وخصوصاً حين يكون فجائياً ومصحوباً بالعنف. أما التعريف السياسي، فهو أن الثورة تعني تغيير النظام السياسي الحاكم ورموزه. وإذا جمعنا بين التعريفين، يمكن الخروج بتعريف أشمل هو: "الثورة تغيير جذري غير سلمي للنظام السياسي ورموزه وبناه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهذا التغيير يكون عادة فجائياً ومصحوباً بالعنف"[8].

وإجرائياً يمكننا القول هي القيام بعمل مسلح ضد عدو معتد بالقوة على شعب مسالم أو دولة مستقلة، وقمعه وإخضاعه لقوانينه.

2. المحور الأول: الإطار النظري

1.2 الأفلام الثورية في السينما الجزائرية ومضامين الوطنية:

إنطلقت السينما الجزائرية بعد الإستقلال باحثة عن مكانة لها بين مصاف سينمات الدول الكبرى، لكن الوضع مختلف، فالجزائر خرجت من فترة استعمارية طويلة، فاقت القرن وإثنان وثلاثين سنة وما خلفته هاته الأخيرة من دمار واسع في أوساط الشعب؛ من قتلى ومشردين وأيتام وأوضاع إجتماعية مزرية، وخاصة المديونية التي بلغت أرقام بالملايين. كل هذا وأكثر أدى بالدولة إلى تأجيل الإهتمام بقطاع السينما، إلا أن ذلك لم يغن المهتمين بالقطاع إلى تجاوز هذه العقبات ومحاولة تنشيط الساحة السينمائية بأفلام جادة تساعد في بناء الدولة الفتية. « وحسب إحصائيات وزارة الثقافة فقد شهدت الفترة بين 1957 إلى 1980 إنجاز 194 فيلما طويلا وقصيراً، ليصل المجموع إلى 387 فيلما وشريطاً تم إنجازها في هذه الفترة، شكلت فيها الأفلام الإجتماعية نسبة 23%، أما المضامين السياسية فقد مثلت 21% من مجموع ما أنتج، في حين شكلت الأفلام التاريخية نسبة15%، 12% مواضيع إقتصادية، 10% ثقافية، مقابل 7% تناولت مواضيع تقنية، أما اللغة فقد شكلت العربية 84%، الفرنسية 13%، و 3% مثلت أشرطة صامتة»[9] .

ويعود فضل هذا إلى إنشاء عدة مؤسسات للإنتاج والتوزيع السينمائي نذكر منها باختصار:-إنشاء الديوان الوطني للأحداث الجزائرية ومركز التوزيع الشعبي عام 1963.

-إنشاء المركز الوطني للسينما، ودار الآثار السينمائية الوطنية الجزائرية والمعهد الوطني للسينما عام 1964.

-المركز الوطني للتسويق والصناعة السينمائية عام 1968.

- عام 1975 إنشاء مديرية السينما والوسائل السمعية والبصرية بوزارة الاعلام والثقافة[10].

وكل هذه المراكز تابعة للدولة.

وفي خضم هذا التنوع والثراء الثقافي أنتجت عدة أفلام جادة في فترة الإستقلال حاول مخرجوها معالجة مواضيع تخص الشعب الجزائري، وتصوير مآثر أبطاله وبطولاتهم أثناء حرب التحرير وكيف حاربوا الإستعمار الفرنسي وحرروا البلاد، فتثير في نفوسهم عاطفة

الغيرة على الوطن والإفتخار والإعتزاز بالإنتماء إليه. ومما لا شك فيه أن التوزيع قد طرأ عليه تحسن ملموس، فالمشاهدين الجزائريين (القاطنون في المدن الكبرى على الأقل) قد شاهدوا عددا كبيراً من الأفلام الهامة الآتية من أوروبا والولايات المتحدة أحياناً مع تأخير سنة أو أقل من عرضه في الدول المنتجة...، وتجدر الإشارة هنا إلى الدعم الذي تقدمه الأندية السينمائية لترهف الحس ولتكون مدارك الذين يشكلون الغالبية الساحقة لمرتادي صالات العرض في الجزائر[11].

وهذا يعني أن دور العرض السينمائي كانت فعالة وناشطة بعد الإستقلال، مقارنة مع اليوم في ظل التطور الكبير على كافة المستويات.

تركز الإنتاج على أفلام ذات طابع ثوري تدعو إلى حب الوطن وتمجيده والتمسك به، من خلال المَشَاهد التي تصور المجاهدين؛ وكيف قاوموا الإستعمار وانتصروا عليه رغم قلة إمكانياتهم. فالتضحية في سبيل الوطن غالية. كما تبرز هاته الأفلام في الجانب الأخر نذالة المستعمر ووحشيته. ومن بين الأمثلة فيلم "معركة الجزائر" سنة 1966 الحاصل على جائزة الأسد الذهبي في مهرجان البندقية لعام 1966[12]. وهي فترة حاسمة في تاريخ الثورة أين شدد المستعمر الخناق على المجاهدين.

فالمُشاهد لأحداث الفيلم يتفاعل مع أحداثه، ويتعاطف مع أبطاله ويتخيل نفسه معهم ليتمكن من مساعدتهم، وهنا تتجلى أسمى معاني الروح الوطنية في نفوس المشاهدين، فالصورة أصدق الأحاسيس وأبلغها رغم أن التصوير كان بالأبيض والأسود، فأحداث الفيلم محاكية للواقع. ولا ننسى بقية الأفلام في هذه الفترة.

2.2-أفلام السبعينات و الثمانينات:

عرفت السينما الجزائرية أوج نهضتها في سنوات السبعينات متزامنتا مع التحولات السياسية والإقتصادية الكبرى التي عرفتها الجزائر. في ظل هذا كله شق السينمائيون طريقهم

في إطار التوجه الجديد للبلاد؛ فأنتجوا أفلاما سينمائية ذات جودة عالية شرفت الجزائر في المحافل الوطنية والدولية، ولاقت نجاحا باهراً في المهرجانات السينمائية العالمية، كفيلم "وقائع سنين الجمر" للأخضر حمينة" الفائز بالسعفة الذهبية في "كان" سنة 1975.

واستمتعت الجماهير بعدة أفلام أخرى تمجد الوطن وتعتز بالهوية، على غرار فيلم "الأفيون والعصا" لأحمد راشدي عام 1970، وفيلم "لكي تحيا الجزائر" عام 1972. وأنتج بين عامي 78و1979 خمسة أعمال سينمائية.

كما أنتجت عدة أفلام في الثمانينات كفيلم "الشيخ بوعمامة[13]" للمخرج "بن عمر بختي"، وتدور أحداثه حول سيرة المقاوم "الشيخ بوعمامة" وكيف وقف سدا منيعا في وجه الإستعمار وقاد المقاومة الشعبية في جنوب غرب البلاد ومعركة أولاد سيدي الشيخ التاريخية. ومنه «يمكن القول أن الجزائر هي الدولة العربية الوحيدة التي تسيطر على سوق السينما فيها سيطرة كاملة وبالتالي تتمكن من تخطيط صناعة السينما وربطها بخطط التنمية. كما يعتبر أرشيف السينما الجزائرية الذي أنشئ عام 1964 أكبر وأهم أرشيف سينمائي على الصعيدين العربي والإفريقي خلال عشرين سنة من الإستقلال»[14].

ومما سبق نجد أن السينما الجزائرية مرت خلال عشرين سنة من الإستقلال بمراحل تطورية، فبعد التجارب في الستينات أصبحت تنافس في السبعينات والثمانينات بفضل الإهتمام الكبير الذي أولته الدولة لقطاع السينما.

3.2-سينما التسعينات والألفية الثالثة:

عرف إنتاج الأفلام الثورية في التسعينات ندرة كبيرة. فلم تنتج إلا ثلاثة أفلام ثورية خلال هذه الفترة التي عاشتها البلاد، باستثناء بعض الأفلام التي عالجت الواقع السياسي والإجتماعي الذي كان يعيشه المواطن. كفيلم "باب الواد سيتي" سنة 1994 للمخرج "مرزاق علواش"، وهو صورة صادقة عن الوضع السياسي والإجتماعي في الجزائر آنذاك[15].

الحديث عن السينما الجزائرية في التسعينات شأنه شأن القطاعات الأخرى، فتقريبا كل شيء توقف، نتيجة غرق البلاد في المديونية وإفلاس المؤسسات فترة الحكم الانتقالي، أثر كله على قطاع السينما، فأغلقت القاعات خوفا من الهجمات الإرهابية على المشاهدين.

في بداية الألفية الجديدة عادت الروح إلى السينما الجزائرية متزامنة مع عودة الإستقرار الأمني إلى البلاد، وانتعاش الإقتصاد الوطني، فتحسنت الأوضاع الإجتماعية للمواطن مقارنة مع الماضي. وبدأ الإنفتاح الإعلامي مما زاد في ثقافة الشعب، فبدأ يهتم بالثقافة، ويحن إلى أيام الماضي أين كان يجتمع الشباب حول الأفلام الجميلة في قاعات السينما في أيام السبعينات والثمانينات. لكن ما ميز هذه المرحلة فقد كان الإنتاج مناسباتي.

ومنذ 2007 حيث كانت الجزائر عاصمة للثقافة العربية، مرورا بالمهرجان الإفريقي الثقافي في 2009، وتلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية في 2011، وقسنطينة عاصمة للثقافة العربية في 2015، ومناسبات أخرى، سجلت الجزائر إنتاج قرابة 20 فيلما تاريخيا. كفيلم "زبانة" للسعيد ولد خليفة (2012)، وفلمي المخرج أحمد راشدي "كريم بلقاسم" (2015) و"مصطفى بن بولعيد" (2008) والعقيد لطفي (2016). وطرح لطفي بوشوشي فيلمه "البئر" في 2016، وأفلام أخرى[16].

ما يلاحظ على الموجة الجديدة من الأفلام الثورية أنها ركزت على معالجة صورة الثورة بطريقة منطقية وأقرب إلى الواقع. فأبرزت بعض الجوانب التي لم نكن نراها في الأفلام القديمة؛ كالخلافات بين قادة الثورة، واختلاف وجهات النظر، وظلم بعض المواطنين وغيرها من الجوانب التي لم نكن نراها، واعتمادها أيضا على صورة البطل كفيلم "بن بولعيد" وفيلم "كريم بلقاسم" وغيرها. على عكس الأفلام القديمة التي كانت تصور المقاومة الجماعية للشعب الجزائري.

3 المحور الثاني: الاطار التطبيقي:

1.3 فيلم "معركة الجزائر" للمخرج جيلو بونتيكورفو 1966 وتجليات الوطنية:

يعتبر فيلم معركة الجزائر للمخرج الإيطالي "جيلو بونتيكورفو". أحد أفضل الأفلام السينمائية، ففي سنة 2012 صنفت المجلة البريطانية "البصر والصوت Sight and – Sound" فيلم معركة الجزائر على أنه من بين أفضل 50 فيلما تاريخيا عبر العصور بتصويت 846 مختص سينمائي[17]. ورشح هذا الفيلم لعدة جوائز، حيث نال الفيلم جائزة السد الذهبي في مهرجان البندقية عام1966 ، وجائزة النّقد خلال مهرجان كان في نفس السّنة، كما ترشح لثلاثة جوائز أوسكار كأحسن فيلم وأحسن إخراج وأفضل سيناريو[18].

الفيلم مستوحى من أحداث حقيقية حدثت إبان الفترة الإستعمارية بالعاصمة، تقمص أدواره مجموعة من الممثلين اليافعين تمثلت في شخصيات؛ علي لابوانت، حسيبة بن بوعلي، العربي بن مهيدي، والطفل عمر، والكولونيل ماتيو. وهي شخصيات تاريخية مما يضفي طابع الواقعية على الفيلم. فصور لنا الفدائيين الذين اتصفوا بالبسالة والشجاعة، وقدموا أرواحهم في سبيل تحرير الجزائر.

تدور أحداث الفيلم من سنة 1954 إلى سنة 1960، مركزا على الأحداث البارزة والتي جرت أغلبها في سنة 1957؛ أين دارت المعركة بين الفدائيين الجزائريين والعسكر الفرنسي بقيادة الكولونيل ماتيو. و أهمها:

–تجنيد الفدائيين والفدائيات من النساء وحتى الأطفال لمجابهة العدو، عن طريق الإغتيالات بالسلاح والقيام بعمليات تفجيرية في أوساط المعمرين؛ كرد فعل على القنبلة التي زرعتها الشرطة في حي القصبة. أنظر الدقيقة 42 من الفيلم.

–حوار العربي بن مهيدي مع علي لابوانت (أنظر د 3 و1سا)، ومحاولة بن مهيدي شرح الوضع لعلي لابوانت، وهو محاولة دفع الشعب للإلتفاف حول الثورة واحتضانها للنجاح في التحرر من الإستعمار. وهي رسالة سامية للمتلقي في ضرورة التضامن للحفاظ عن الوطن.

–تجسيد إضراب الثمانية أيام(01/24 إلى 1954/02/04)، لتدويل القضية الجزائرية وكسب التضامن الدولي في الأمم المتحدة، فجسد الفيلم صورة حقيقية عن الوضع واستطاع

المخرج أن يبين المجازر التي ارتكبتها فرنسا في حق الشعب الأعزل. كما تبرز صورة التضامن الشعبي مع قيادته في النضال والكفاح ضد فرنسا.

-إلقاء القبض على قيادات الثورة كالعربي بن مهيدي في 1957/03/04، ومطاردة الفدائيين وقتلهم وتعذيب من قبض عليهم. والتوظيف الفني الجميل للقاء الصحفي بعد القبض عليه؛ ورد العربي بن مهيدي على الصحافة حول قضية القنابل بقوله:" السيد بن مهيدي، ألا تعتبرون أنه من الجبن استخدام حقائب مليئة بالقنابل، تحملها النساء لقتل الأبرياء"[19] فكان رده:" وأنتم، أليس من الجبن أن تقصفوا قرى ومداشر لآناس عزل بقنابل النبالم التي حصدت ألاف الضحايا، طبعاً الأمر جد سهل وبسيط بالطائرات، أعطونا قذائفكم نعطوكم حقائبنا"[20]. وهي رسالة للمتلقي لكي يفهم من هو الإرهاب. هل هي فرنسا أم شعب يدافع عن حريته وأرضه المغتصبة.

-نهاية الفدائيين بشجاعة وبسالة منقطعة النظير بعد تضييق الخناق عليهم من طرف المستعمر. وهي صورة الرجال والنساء المخلصين لبلدهم الذي لا يغلى عليه شيء.

-و أخر مقطع هو تجسيد مظاهرات 11 ديسمبر 1960 و خروج الشعب حاملا للأعلام الوطنية علناً و مطالباً بالإستقلال، والذي لا محال منه.

لقد كشف لنا الفيلم عن التضحيات الجسام التي قام بها الفدائيين في سبيل الحرية، والتفاف الشعب وإيمانه بقضيته العادلة، والوجه الحقيقي البربري للمستعمر الغاشم والجرائم التي ارتكبها في حق الجزائريين. والتي تبقى في ذاكرتنا و يوما ما سنحاسب فرنسا على جرائمها وأفعالها الشنيعة.

2.3 قراءة في فيلم "خارج عن القانون" لرشيد بوشارب 2010:

2.3 فيلم "خارج عن القانون" وتجليات الوطنية:

يحيلنا فيلم "خارج عن القانون" منذ البداية إلى الأساليب القمعية والوحشية التي انتهجها المستعمر لاحتلال الأراضي ونهب الممتلكات. فقد عرف المخرج رشيد بوشارب كيف يوظف قراءة عصرية للتاريخ، ويقنع المشاهد. فبدأ الفيلم بحادثة تجريد الفلاح من أرضه بسبب عدم إمتلاكه لعقد الملكية، وهنا تثار أعصابك كمشاهد وتتعاطف مع شخصية الفلاح؛ وقبيل المغادرة يخاطب الأب أبناءه قائلاً: "ما تنساوش يا ولادي بلي هذي الأرض أرضكم"[21]. وهي رسالة مشفرة للمشاهدين بأن هذه أرضكم ولا يسلبكم أحد إياها.

ليضغط الزمن الدرامي ويختزل التاريخ بدأ بأحداث 08 ماي 1945، فيصور لنا في شكل شريط وثائقي استعان به ليرينا نهاية الحرب العالمية الثانية وكيف خرجت الشعوب تحتفل، وفي نفس الوقت خرج الشعب الجزائري يطالب بالحرية والمساواة الموعود بها من طرف المستعمر، ليتعرض إلى إبادة جماعية تبقى في التاريخ، ولن نسامح فرنسا عليها إلى الأبد. وهنا تبدأ تتسارع دقات قلب المشاهد الذي يشمئز من الوحشية الفرنسية. ويجري سعيد هارباً ليجد أبيه وأختيه مقتولين؛ وأمه في حالة صدمة كبيرة.

ويضغط الزمن الدرامي مرة أخرى إلى غاية سنة 1953، قبيل بدأ الثورة فيجند مسعود ليقاتل في فيتنام، بعد عام ينتقم سعيد من القايد ويثأر لأبيه بقتله. وهو فعل يجعل المشاهد يحقد على خائنين البلاد، لأنهم لعبوا دورا كبيرا في بقاء فرنسا في الجزائر. ويقنع سعيد أمه في الذهاب إلى فرنسا أين يمتهن مهن غير أخلاقية وغير مشرفة، فيمثل بذلك صورة الولد العاق. وهنا تبرز جرأة المخرج الذي كشف لنا عن الجوانب الخفية التي لم نكن لنراها في الأفلام الثورية القديمة. على عكس أخويه مسعود وعبد القادر اللذان آمنا بمبادئ المقاومة الجزائرية وانخرطا في صفوف جبهة التحرير الوطني، ونفذا عدة أعمال لصالح القيادة العسكرية لجيش التحرير الوطني، كجمع المال، وتنفيذ الإغتيالات، وشراء الأسلحة. لكن الملفت للنظر هو إبراز بعض الصور السلبية للثورة، كاختلاف المصاليين(MNA) مع المركزيين(FLN)، ويبرز هذا في شنق "سنجاق ملاح" على يد أفلاني[22]، و صورة سلبية أخرى وهي جمع الأموال من الملاهي والحانات، والضغط على المواطنين للدفع بالقوة. فهل هي جرأة من المخرج لكشف الحقائق التاريخية والتي تسيئ للثورة؟ أم هي صورة لإرضاء الطرف الأخر الممول للفيلم؟ أم هو سرد للتاريخ وفقط؟

في الأخير يمكننا القول أن هذا الفيلم إستطاع أن يختزل مدة 37 سنة في ساعتين و15 دقيقة، بطريقة فنية جميلة وبتسليط الضوء على أحداث مهمة من تاريخ الجزائر، خاصة المقاومة في الخارج التي كان لها أثراً بارزاً في إختراق العدو من داخل أراضيه، مما يجبره على قبول الأمر الواقع. وفيلم يتمتع المشاهد به بنظرة جديدة. رغم ما يعاب عليه من نقائص كتوظيفه ممثلين تونسيين ومغربيين للعب الأدوار الرئيسية، وهو ما يضفي برود في الأداء خاصة في المشاهد التي تحتاج إلى الحرارة والغيرة. كما إنتقده الطرف الفرنسي لفضحه لصورته الإرهابية الحقيقية، والتي مارسها في حق الجزائريين.

- مقارنة بين الفيلمين:

-أوجه التشابه بين الفيلمين:

-كلاهما فيلم ثوري يعالج حقبة الثورة الجزائرية.

-كلاهما يصور همجية الإستعمار ووحشيته، وضرورة مجابهته بالكفاح المسلح.

-كلاهما يطرح قضية الأرض المسلوبة للجزائريين، وكيف تصدو للعدو من أجل استرجاعها

-كلاهما يصور الروح الوطنية بين المجاهدين والفدائيين والتضحية بالنفس لاسترجاع السيادة الوطنية.

-كلا المخرجين استعمل الأشرطة الوثائقية للتأكيد على إبراز الحقائق وكشفها، واختصار الزمن الدرامي وتكثيفيه.

-كلا الفيلمين صورا المقاومة داخل المدينة.

أوجه الإختلاف بين الفيلمين:

-معركة الجزائر يركز على المقاومة داخل العاصمة، بينما خارج عن القانون تنوعت فيه مناطق الصراع.

-إعتمد فيلم خارج عن القانون عن ثلاثة أبطال، بينما يصور فيلم معركة الجزائر القيادة الجماعية للمجاهدين.

-يصور معركة الجزائر المقاومة في الجزائر، بينما يركز خارج عن القانون نقل المقاومة إلى الأراضي الفرنسية.

-أحداث فيلم معركة الجزائر معبرة وحقيقية، بينما أحداث خارج عن القانون ممزوجة بين الواقعية والمتخيلة.

-صُوِّر فيلم معركة الجزائر بالبيض والأسود وبإمكانيات بسيطة، بينما فيلم خارج عن القانون صُوِّر بأحدث التقنيات مما يضفي جمالية فنية عليه.

-النتائج العامة:

من بين النتائج المستخلصة من هذه الدراسة المتواضعة، نجد تطرق الفيلمين إلى عدد من القضايا المرتبطة بالإحتلال الفرنسي للجزائر، ومنها الإعتداء على الشعب المعزول بالأسلحة والقتل والتهجير ومختلف الممارسات الإرهابية التي لا تقبلها الإنسانية، وسلبه لحريته وأرضه وإخضاعه لمنطق الغالب واستعباده في أرضه بحجة همجيته وعدم تحضره.

-صورا الفيلمين الصورة الحقيقية للإستعمار وهذا ما جعلاهما يتعرضان للإنتقادات الكثيرة والكولسة في المهرجانات السينمائية العالمية؛ لحرمانهما من الفوز بالجوائز الأولى وإقصائهما. لأن هذه الأفلام الثورية تكشف الوجه الحقيقي للإستعمار وهو ما لا تحبذه فرنسا. لكن سوف تبقى مشاهد الفيلمين شاهدة على جرائم الفرنسيين في حق الجزائريين والإنسانية.

-أيضا كلا الفيلمين يبرز قضية التضامن والروح الوطنية التي يتمتع بها الجزائريون، وذلك من خلال صورة التضامن التي يقدمها الشعب الجزائري، وكيف تحمل الصعوبات وضحى بالنفس والنفيس؛ محتضناً الثورة من أجل الحرية.

-تعتبر الأفلام الثورية أحسن من يصور ويقدم قيم الوطنية والتضامن الشعبي للمشاهد الجزائري الغيور على وطنه.

4. خاتمة:

ما يمكن استخلاصه من خلال ما سبق هو أن الجمهور الجزائري المحب لوطنه، والنخوة التي ورثها عن أجداده، حملته بشغف إلى متابعة الأفلام الثورية التي وجد فيها ملاذه، منذ الإستقلال وإلى غاية عصرنا هذا. نظرا لما حملته هاته الأفلام من أفكار سامية، ومبادئ وقيم رفيعة المستوى تدعوا إلى حب الوطن والمحافظة عليه. فصورت تضحيات

الشعب الجزائري برمته في سبيل تحرير الوطن؛ وكيف ضحى الشباب بحياتهم ووقفوا سداً منيعاً في وجه المستعمر رغم ضعف إمكانياتهم، فهي رسالة للشباب اليوم بأن لا شيء مستحيل، ويمكن بإمكانيات بسيطة صناعة الفارق. كما أنها دعوة للإفتخار بشهداء الجزائر ومواصلة المسيرة في بناء الوطن والمحافظة عليه، والوقوف في وجه كل معتد عليه.

الهوامش

[1] https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar ، يوم الزيارة: 2020/05/22 على: 07:15.

[2] نجمة زراري، الطرح الفيلمي لقضية العنف ضد المرأة في السينما الجزائرية المعاصرة، ماجستير، إعلام واتصال، إشراف نادية شرابي، قسم علوم الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر 3، 2011، ص 44.

[3] شوقي ناجي جواد، الوطنية، الحوار المتمدن، العدد 5379، في 2016/12/22، يوم الزيارة: 2020/02/01 على:12:04 ، www.ahewar.org.

[4] أنظر: خديجة بن وزة، عاتكة غرغوط: العلاقة بين الهوية و المواطنة، مجلة السيراج ، العدد 05، مارس 2018. ص 77.

[5] أحمد بعلبكي...و أخرون، الهوية و قضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، نوفمبر 2013، ص 25.

[6] مسعودة طلحة، رهانات الهوية الوطنية في ظل الميديا الجديدة بين الواقع والمتوقع، مجلة السيراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد 2، جوان 2017، ص72.

[7] مهند طلال الاخرس، ما هي الثورة؟، الحوار المتمدن–العدد: 5764 – 2018 / 1 / 21 – 16:24، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=586644&r=0، تاريخ الزيارة: 2020/05/22 على 05.22.

[8] هيثم مزاحم، في معنى الثورة، https://arabiyaa.com/2016/09/09/، تاريخ الزيارة: 2020/05/22، على : 05:49.

[9] منصور كريمة، إتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة. دكتوراه، دراسات سينمائية، إشراف فرقاني جازية، قسم الفنون، جامعة وهران 1، 2013، ص43.

[10] جان الكسان، السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، العدد 51، مارس 1982، ص220.

[11] جان الكسان، السينما في الوطن العربي، م س، ص 221.

[12] فيلم معركة الجزائر، يوم الزيارة: 2020/30/28 على الساعة:17:46.ar.wikipedia.org .

[13] فيلم بوعمامة، تاريخ الزيارة: 2020/03/14، على : 11:30 .ar.wikipedia.org .

[14] جان ألكسان. السينما في الوطن العربي. م س، ص 234.

[15] رحموني لبنى، واقع السينما الجزائرية بعد الإستقلال. قراءة في تحولات المضمون والممارسة. دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 22، مارس 2016، ص162.

[16] حسام الدين إسلام، الأناضول، الجزائر، الأفلام التاريخية تغزو السينما وسط غياب اللمسة الفنية. 13.10.2017، يوم الزيارة: 2020/02/21، على: 16:00 www.aa.com.tr/ar/D. .

[17] فيلم معركة الجزائر، https://ar.wikipedia.org/wiki

[18] أنظر: م نفسه. https://ar.wikipedia.org/wiki

[19] أنظر: نسخة فيلم معركة الجزائر، د 25 س1

[20] أنظر: م ن، د ثا 17 د 25 سا 1

[21] فيلم خارج عن القانون، د 4 و32ثا.

[22] فيلم خارج عن القانون، الدقيقة 43 و 52ثا.